الرؤيا في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية موضوعية

م. م. باسل محمد نواف

وزارة التربية– مديرية تربية الانبار

baslmhmdnwaf900@gmail.com

تاريخ الاستلام 2025/9/19 تاريخ القبول 2025/10/28 تاريخ النشر 2025/12/22

الملخص:

ان القرآن الكريم بوصفه ظاهرة قرآنية ذات أبعاد عقدية وتربوية ونفسية، ومن خلال دراسة تفسيرية منهجية للنصوص التي وردت فيها الرؤى، يُظهر البحث كيف اعتبر القرآن الرؤيا وسيلة من وسائل الوحي والتبشير والإنذار، خاصة في حياة الأنبياء عليهم السلام.

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

• المبحث الأول: عُني بتأصيل المفهوم اللغوي والاصطلاحي للرؤيا، وبيان خصائصها كما وردت في القرآن والسنة، مع التمييز بينها وبين الحلم، وتوضيح كون الرؤيا الصالحة من الله، وجزءًا من النبوة، وبشرى للمؤمنين.

• المبحث الثاني: تناول نماذج تطبيقية من الرؤى في القصص القرآني، شملت رؤية النبي محمد ﷺ في فتح مكة، ورؤيته لجيش المشركين، والشجرة الملعونة، وكذلك رؤية إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه. وقد تم تحليل كل رؤية في ضوء كتب التفسير، مع إبراز معانيها التربوية والرسالية.

• المبحث الثالث: ناقش مكانة الرؤيا كأداة للوحي والإلهام عند الأنبياء، موضحًا الفرق بين الرؤيا النبوية، والرؤى العامة لدى البشر.

وقد خلصت الدراسة إلى أن الرؤيا في القرآن ليست مجرد ظاهرة نفسية أو خيالًا نائمًا، بل هي أداة إلهية محكمة، لها دلالاتها وغاياتها في التوجيه والتبشير والتنبيه، كما أن فهمها يساعد على إدراك جانب من جوانب الإعجاز في كتاب الله تعالى، ويُسهم في ترسيخ اليقين بالغيب ووعد الله لعباده.

الكلمات المفتاحية: الرؤيا، الوحي الإلهي، التبشير والإنذار، التفسير.

Vision in the Holy Quran: An Interpretive Study

Mr. Basil Muhammad Nawaf
Ministry of Education- Anbar Education Directorate

Abstract

The Holy Qur'an, as a Qur'anic phenomenon with doctrinal, educational, and psychological dimensions, and through a systematic interpretive study of the texts in which visions are mentioned, the research demonstrates how the Qur'an considered visions as a means of revelation, good tidings, and warning, especially in the lives of the prophets, peace be upon them.

The research is divided into three main sections:

• The first section: focused on establishing the linguistic and technical concept of visions, explaining their characteristics as they appear in the Qur'an and Sunnah, distinguishing them from dreams, and clarifying that a good vision is from God, part of prophecy, and a good omen for believers.

• The second section: addressed practical examples of visions in Qur'anic stories, including the vision of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) during the conquest of Mecca, his vision of the polytheist army and the cursed tree, as well as the vision of Abraham (peace be upon him) sacrificing his son. Each vision was analyzed in light of the books of interpretation, highlighting its educational and missional meanings.

• The third section discusses the status of visions as a tool for revelation and inspiration among the prophets, clarifying the difference between prophetic visions and common human visions.

The study concludes that visions in the Qur'an are not merely a psychological phenomenon or a dormant imagination, but rather a divinely crafted tool with its own connotations and purposes of guidance, evangelism, and warning. Understanding them also helps us grasp an aspect of the miraculous nature of God's Book and contributes to strengthening our certainty about the unseen and God's promise to His servants.

Keywords: Vision, Divine Revelation, Evangelism and Warning, Interpretation.

المقدمة:

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه، ونعوذ به من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ومن نزعات الشـيطان وتضـليله من تحزبته في النوم وتهويله اما بعد اقتضـت حكمة الله تعالى ان يكون نبينا محمد خاتم الانبياء والمرسـلين، وارسـله الله رحمه للعالمين، فبلغ الرسـالة وادى الامانة ونصح الأمه ودلهم على كل خير وحذرهم من كل شر.

لقد اعتنى القرآن الكريم بإبراز جوانب متعددة من عالم الغيب، وكان من أبرز هذه الجوانب الرؤيا، التي مثّلت وسيلة من وسائل الإرشاد والتوجيه والتبشير للأنبياء والصالحين، وأداة من أدوات التمكين والتعليم الإلهي. وقد ورد ذكر الرؤى في مواطن عدة من كتاب الله تعالى، مما يدل على أهميتها ووظيفتها الرسالية والتربوية في حياة الأنبياء وأقوامهم.

وتُعد الرؤيا في التصـور القرآني ظاهرة تحمل أبعادًا عميقة، فهي ليسـت مجرد خيال نائم أو انعكاس للعقل الباطن، وإنما قد تكون أداة وحي وإعلام، كما في رؤية إبراهيم عليه السـلام بذبح ابنه، أو بشارة وتثبيت، كما في رؤية يوسف عليه السلام، أو إنذار وتمهيد، كما في رؤيا رسول الله ﷺ في فتح مكة.

ومن هنا، جاءت فكرة هذا البحث لدراسة الرؤى في القرآن الكريم دراسة تفسيرية، تسعى لفهم هذه الظاهرة من خلال النصوص القرآنية، وتحليل دلالاتها في ضوء كتب التفسير المعتمدة.

وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: الرؤيا – تعريفها وخصائصها، ويتناول المفهوم اللغوي والاصطلاحي للرؤيا، وخصائصها، وأنواعها، ومكانتها في الوحي.

المبحث الثاني: الرؤى وتفسيرها في القصص القرآني، ويعرض أشهر الرؤى التي وردت في القرآن من خلال قصة إبراهيم ويوسف ومحمد ﷺ.

المبحث الثالث: الرؤيا في القرآن أداة للتمكين والتبشير، ويبحث في الوظائف التربوية والنفسية والرسالية للرؤى من خلال السياق القرآني.

وأسـأل الله أن يوفقني في تقديم هذه الدراسـة بما يثري الفهم القرآني ويُسـهم في إبراز بُعدٍ من أبعاد الإعجاز في كتاب الله عز وجل.

أهمية الرؤيا في التصور القرآني

لقد شغلت الرؤيا – بوصفها وسيلة من وسائل التوجيه الإلهي – حيّزًا مهمًا في التصور القرآني، وارتبطت في مواضع متعددة بالأنبياء والصالحين، فكانت إما بشارة، أو تكليفًا، أو إنذارًا، أو تمهيدًا لأحداث كبرى في حياة الأفراد والمجتمعات. وقد جاء ذكر الرؤى في القرآن الكريم بشكل صريح في عدد من المواضع التي حملت دلالات عقدية وتربوية عميقة، منها ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿ إِنِّي أَرى فِي المَنامِ أَنِّي أَذبَحُكَ﴾[1] وما رآه يوسف عليه السلام في طفولته: ﴿ إِنِّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لِي ساجِدينَ﴾[2] وما رآه النبي ﷺ في رؤيا فتح مكة، وغير ذلك من الرؤى التي لم تكن مجرد أحلام عابرة، بل كانت جزءًا من منهج الوحي والبلاغ، بل ومن دلائل النبوة والتأييد الإلهي.

ومن هنا، فإن الرؤيا ليست في القرآن مجرد مشهد أو حدث، بل هي أداة وحي، ووسيلة تربية، ودليل هداية، لها أثر بالغ في بناء العقيدة، وتزكية النفس، وتوجيه السلوك.

دوافع اختيار الموضوع:

جاء اختياري لموضوع "الرؤيا في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية موضوعية" استجابة لجملة من الاعتبارات العلمية والعملية، أبرزها:

1. قلة الدراسات التفسيرية المتخصصة التي تتناول "الرؤيا" بوصفها موضوعًا قرآنيًا قائمًا بذاته، رغم ما تحمله من أبعاد عقدية وتربوية ونفسية.
2. أهمية الرؤيا في واقع المسلمين اليوم، إذ ما تزال تشغل حيزًا في تفكيرهم وتفسيراتهم للأحداث، فكان من المهم العودة بها إلى ضوابط القرآن الكريم وفهم السلف الصالح.
3. الرغبة في استقراء الرؤى الواردة في القرآن ضمن سياقها التفسيري والربط بينها وبين الغايات الكبرى للقرآن من حيث بناء الإيمان وتثبيت الرسالة.

أهداف البحث:

1. تتبع مواضع ذكر الرؤيا في القرآن الكريم.
2. تحليل الرؤى ضمن سياقها التفسيري والرسالي.
3. استنباط القيم العقدية والتربوية من الرؤى القرآنية.

المبحث الأول: الرؤيا تعريفها وخصائصها

المطلب الأول: تعريف الرؤيا لغةً

تُعدّ "الرؤيا" من الألفاظ المتكررة في الخطاب العربي والقرآني، وتحمل في طيّاتها دلالات متعددة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه. وقد أولى العرب عناية خاصة بتمييز معاني الألفاظ وتحديد مفاهيمها بدقة، ومن هنا، فإن الوقوف على تعريف "الرؤيا" من الناحية اللغوية يُعدّ مدخلًا مهمًّا لفهم أبعادها المختلفة في السياق القرآني والتفسيري.

ورد تعريف اللغوي للرؤيا في عدة معاجم وعرفها الكثير من اللغويين من هذه التعريفات هي:

- قال العلامة ابن منظور في لسان العرب: «والرؤيا: ما رأيته في منامك، وهي الرؤى، ورأيت عنك رؤى حسنة حلمتها وأرأى الرجل إذا كثر رؤاه، بوزن رعاه، وهي أحلامه جمع الرؤيا، ورأى في منامه رؤيا، على فعلى بلا تنوين وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين، مثل رعى[3].
- وقال الراغب الأصفهاني في معجم مفردات ألفاظ القرآن: «والرؤيا ما يرى في المنام، وهو فعلي، وقد يخفف فيه الهمزة فيقال بالواو» والألف فيها للتأنيث ولذلك لم تنصرف[4].
- وقال الفراهيدي: «ولا تجمع الرؤيا، ومن العرب من يلين الهمزة فيقول: رويا، ومن حول الهمزة فإنه يجعلها ياءً، ثم يكسر فيقول: رأيت ريًا حسنة، والري ما رأت العين من حال حسنة من المتاع واللباس[5].
- وقال الفراء: «إذا تركت العرب الهمزة من الرؤيا قالوا: الرويا، طلبًا للخفة، فإذا كان من شأنهم تحويل الواو إلى الياء قالوا: ﴿لا تَقصُص رُؤياكَ﴾[6] في الكلام، وأما في القرآن فلا يجوز. قال: ولا تجمع الرؤيا، وقال غيره: تجمع الرؤيا: رؤى، كما يقال: عليا، وعلى»[7].
- الرؤى: جمع رؤية ورؤيا: مادة رأي، الرؤية تخص العين فيقال: رأيته بعيني، والرؤيا تخص المنام فيقال: رأيته في المنام رؤيا، فالرؤيا–في الأصل–مصدر: رأى في المنام يرى رؤيا، على وزن فعلى ثم جعلت اسماً لما يراه الشخص في منامه لقول الواحدي: "هي في الأصل مصدر كاليسرى، فلما جعلت اسما لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء"، والرؤية: إبصار

هلال رمضان لأول ليلة منه[8]، لقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)[9].

المطلب الثاني: تعريف الرؤيا اصطلاحاً

تُعدّ الرؤيا من الموضوعات المهمة التي تناولها العلماء لِما لها من صلةٍ بالغيب، ووروودها في القرآن والسنة. وقبل الخوض في تفاصيلها، لا بد من الوقوف على تعريفها اصطلاحًا لتمييزها عن الحلم والمنام، وتحديد معناها في الاستخدام الشرعي والعلمي، ومن هذه التعريفات هي:

المشاهدة بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة[10].

ويمكن تعريف الرؤية اصطلاحًا بأنها: عبارة عن الإدراك بالبصر للأشياء الظاهرة والمحسوسة، أو بالبصيرة، وهي نور في القلب يدرك به الحقائق والمعقولات، والأمور المعنوية، حين يكون القلب مشحونًا باليقين والإيمان[11].

قول القاضي أبو بكر بن العربي: "الرؤيا إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك أو شيطان إما بأسمائها أي حقيقتها وإما بكناها أي بعباراتها وإما تخليط ونظيرها في اليقظة الخواطر فإنها قد تأتي على نسق في قصة وقد تأتي مسترسلة غير محصلة غير محصلة [12].

قول ابن القيم: "الرؤيا أمثال مضروبة يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره ويعبر منه إلى شبهه ولهذا سمي تأويلها تعبيرا[13].

قول أبو حبيب: "في مذهب أهل السنة: حقيقتها–يقصد الرؤيا–أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة[14].

قول القرطبي: "الرؤيا هي إدراكات النفس وقد غيب عنا علم حقيقتها أي النفس وإذا كان كذلك فالأولى ألا نعلم علم إدركها بل كثير مما أنكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنما نعلم منه أموراً جملية لا تفصيلية[15].

وفي ضوء ما تقدم، يتّضح أن الرؤيا في الاصطلاح تحمل معنى خاصًا يميزها عن غيرها من المرائي، ويُبنى عليها كثير من الأحكام والتفسيرات، مما يجعل فهمها ضرورة لفهم سياقات ورودها في النصوص الشرعية

المطلب الثالث: صفات الرؤيا في القرآن الكريم

وصفت الرؤيا الصالحة بصفات عديدة تدل على أهميتها وعظم شأنها، فمن تلك الصفات.

1. أنها من الله :

وقد ورد عن النبي ﷺ وآله أحاديث كثيرة تُبيّن مصدر الرؤيا الصادقة وتُفرّق بينها وبين الحلم، فقد رواها كلٌّ من الإمام مالك في الموطأ، والإمام أحمد في المسند، كما أخرجها الشيخان البخاري ومسلم، عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان"، وجاء في روايات أخرى: "الرؤيا الصادقة من الله"، أو "الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان"[16]، مما يدل على تنوّع الألفاظ واتحاد المعنى.

وقد أشار بعض العلماء، كابن أبي جمرة رحمه الله، إلى أن نسبة الرؤيا إلى الله تعالى إنما هي من باب التشريف والتكريم، إذ إن كل ما ينسب إلى الله فهو حقّ لا ريب فيه، كما قال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [17]، وهذه الإضافة تدخل ضمن القاعدة الأدبية في الشريعة، وهي إضافة الخير إلى الله، ونسبة الشر إلى غيره، تأدباً مع مقام الألوهية[18].

2. الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوة:

كما دل على ذلك حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الرؤيا ثلاث منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»[19]

وما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة»[20].

3. وصفها بأنها رؤيا حق:

ورؤيا الحق: هي التي لا بد من وقوعها وصدقها، فهي ليست من قبيل أضغاث الأحلام، كما أخرج الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا ثلاث فرؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تخزين من الشيطان، فمن رأى ما يكره فليقم فليصل[21].

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[22].

4.وصفها بأنها بشرى من الله :

كما أخرج الإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الرؤيا ثلاثة، فالرؤيا الصالحة بشرى من الله عز وجل، والرؤيا تخزين من الشيطان، والرؤيا من الشيء يحدث به الإنسان نفسه، فإذا رأى أحدكم ما يكره فلا يحدثه أحدا وليقم فليصل)[23].

وجاءت الأحاديث الكثيرة بوصف الرؤيا الصالحة بأنها من مبشرات النبوة كحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له)[24].

وجاءت الأحاديث الكثيرة في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[25] بأن المراد بالبشرى هنا الرؤيا الصالحة.

5.وصفها بأنها صادقة:

كما أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله الله الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ...)[26]، والصادقة هي المطابقة للواقع، فتقع كما هي معبرة في المنام فلا تحتاج إلى تعبير، وهي بهذا المعنى خاصة بالرؤيا الصالحة التي لا تحتاج إلى تعبير بل تقع معبرة في المنام.

وقيل الصادقة هي بمعنى الصالحة، وتشمل ما يحتاج إلى تعبير وما لا يحتاج إلى تعبير وهي بذلك عامة لجميع أنواع الرؤيا الصالحة، ولهذا جاء في بعض روايات حديث عائشة الصالحة) بدل الصادقة[27].

المبحث الثاني: الرؤى وتفسيرها في القصص القرآني

المطلب الاول: رؤى النبي ﷺ

لقد تكررت في القرآن الكريم رؤى تتعلق بالنبي محمد، وقد جاءت هذه الرؤى في سياقات متعددة تؤدي وظائف هامة منها التثبيت والبشارة، والتحذير، وبيان السنن الإلهية. وفي هذا المطلب نسلّط الضوء على أبرز هذه الرؤى كما وردت في النص القرآني، ونقوم بتحليلها تحليلاً تفسيرياً يعرض دلالاتها ومعانيها في ضوء كتب التفسير المعتمدة.

أولا: رؤيا دخول المسجد الحرام

قول تعالى: ﴿لَقَد صَدَقَ اللَّهُ رَسولَهُ الرُّؤيا بِالحَقِّ لَتَدخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرامَ إِن شاءَ اللَّهُ آمِنينَ مُحَلِّقينَ رُءوسَكُم وَمُقَصِّرينَ لا تَخافونَ فَعَلِمَ ما لَم تَعلَموا فَجَعَلَ مِن دونِ ذلِكَ فَتحًا قَريبًا﴾[28].

يقول تعالى ذكره: لقد صدق الله رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) رؤياه التي اراها انه يدخل هو واصحابه البيت الحرام امنين، لا يخافون اهل الشرك مقصرا بعضهم رأسه ومحلقا بعضهم وبنحو الذي قلنا في اهل التأويل، قال ابن عباس: هو دخول محمد (صل الله عليه واله وسلم) البيت والمؤمنين، محلقين رؤوسهم ومقصرين وعن قتادة قال: رأى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) انه يطوف بالبيت واصحابه فصدق الله رؤياه

قول بالحق متصل بـــ (صدق) أي تحقيقه ما راه كما اراه والغريب تم الكلام على الرؤية، (وبالحق) قسم، (لتدخلن) جواب وقول (ان شاء الله بتحقيق لا تعليق كما جاء يغفر لمن يشاء وقيل هذا يجري مجرى تسبيح وليس باستثناء وقول ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُم وَمُقَصِّرِينَ﴾ نصب على الحال أي بعض حلقين وبعض مقصرين قول (لا تخافون جملة في محل نصب على الحال ايضا[29].

ثانيا: رؤيا جيش المشركين

قول تعالى: ﴿إِذ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلًا وَلَو أَراكَهُم كَثيرًا لَفَشِلتُم وَلَتَنازَعتُم فِي الأَمرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ﴾[30].

عن الحسن: في قول (اذ يريكهم الله في منامك قليلا قال بعينك وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام ها هنا، فلا حاجه الى التأويل الذي لا دليل علية وقول (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم أي لجنبتم عنهم واختلفتم فيما بينكم، قول (ولكن الله سلم) أي: بما تجنه الضمائر وتنطوي علية الاحشاء فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور[31].

ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لقد تلوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لصاحب لي تراهم سبعين فقال: اراهم مائة حتى اخذنا رجلا منهم فسألناه فقال الفا، فان كان التأويل هذا انه اراهم رسوله قليلا في اليقظة بالذي ينام، فهو ظاهر وان كان اراه اياهم في المنام الحقيقي، فلقائل ان يقول ان رؤيا رسول وهي فكيف اراه اياهم قليلا وهم كثير خلاف ما هو في الحقيقة[32].

ثالثاً: رؤية الشجرة الملعونة

قال تعالى: ﴿وَإِذ قُلنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنّاسِ وَما جَعَلنَا الرُّؤيَا الَّتي أَرَيناكَ إِلّا فِتنَةً لِلنّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلعونَةَ فِي القُرآنِ وَنُخَوِّفُهُم فَما يَزيدُهُم إِلّا طُغيانًا كَبيرًا﴾[33].

وقد نقل ابن كثير هذا الرأي عن عدد من الصحابة والتابعين، كابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وابن زيد، وغيرهم، وصرح بقوله: "هي شجرة الزقوم التي ذكرت في مواضع أُخَر من القرآن، وأنها تنبت في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين، وقد كانت هذه من جملة ما أنكره الكفار، واستهزؤوا به، وقالوا: كيف تنبت شجرة في النار؟ والنار تأكل الشجر[34].

كذلك فسّر الطبري الشجرة بأنها الزقوم، معتبرًا أن الله تعالى جعلها فتنة، أي ابتلاءً واختبارًا للناس، هل يصدقون بخبرها أم يكذبون، فقال:

"والصواب في ذلك عندنا أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أخبر أنه جعل هذه الشجرة فتنةً، يضل بها من يشاء، ويهدي من يشاء، كما فعل بنظائر ذلك من الأمور التي ابتلاهم بها في الدنيا[35].

وقد ورد أن بعض الكفار حين سمعوا بهذه الشجرة قالوا مستهزئين: كيف تكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟ فجعل الله من إنكارهم فتنة لهم. وقد أورد القرطبي هذه القصة بقوله:

"وكان أبو جهل يقول: يزعم محمد أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر! فأنزل الله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾[36]

يتّضح من خلال هذه الرؤى التي أُريها النبي محمد ﷺ أنها لم تكن مجرد مشاهد منامية، بل كانت وحيًا من الله يتضمن توجيهًا وتثبيتًا وبشارةً وتحذيرًا، وكلها تصبّ في تأييد الرسالة وتهيئة الأمة للتعامل مع مجريات الأحداث وفق سنن الله في الكون والأنفس.

المطلب الثاني: رؤية نبي الله إبراهيم (عليه السلام)

تُعد رؤية النبي إبراهيم السلام لذبح ابنه من ابرز الرؤى التي وردت في القران الكريم، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنّي أَرى فِي المَنامِ أَنّي أَذبَحُكَ فَانظُر ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افعَل ما تُؤمَرُ

سَتَجِدُني إِن شاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرينَ ۝ فَلَمّا أَسلَما وَتَلَّهُ لِلجَبينِ ۝ وَنادَيناهُ أَن يا إِبراهيمُ ۝ قَد صَدَّقتَ الرُّؤيا إِنّا كَذٰلِكَ نَجزِي المُحسِنينَ ۝ إِنَّ هذا لَهُوَ البَلاءُ المُبينُ ۝ وَفَدَيناهُ بِذِبحٍ عَظيمٍ﴾[37].

وقد دلّ ظاهر الآية الكريمة على أن نبي الله إبراهيم عليه السلام رأى في منامه أنه يذبح ابنه، وصرّح بذلك للابن بصورة مباشرة. والرؤيا التي يراها النبي هي وحيٌ من الله تعالى باتفاق جمهور المفسرين، وقد دلّ على ذلك العمل الذي أقدم عليه الخليل من الاستعداد لتنفيذ الذبح دون تردد أو تأويل مخالف، مما يدل على فهمه للرؤيا على أنها أمرٌ إلهي واجب التنفيذ.

1. تفسير علماء التفسير

ذكر ابن كثير في تفسيره الرؤيا: ﴿فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ﴾ بمعنى شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل ﴿فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنّي أَرى فِي المَنامِ أَنّي أَذبَحُكَ فَانظُر ماذا تَرى﴾ قال عبيد بن عمير رؤيا الأنبياء وحي ثم تلا هذه الآية ﴿قالَ يا بُنَيَّ إِنّي أَرى فِي المَنامِ أَنّي أَذبَحُكَ فَانظُر ماذا تَرى﴾. ﴿ قالَ يا أَبَتِ افعَل ما تُؤمَرُ﴾ أي امض لما أمرك الله من ذبحي ﴿تُؤمَرُ سَتَجِدُني إِن شاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرينَ ۝﴾ أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَاذكُر فِي الكِتابِ إِسماعيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعدِ وَكانَ رَسولًا نَبِيًّا ۝ وَكانَ يَأمُرُ أَهلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرضِيًّا﴾[38]. وقال تعالى: ﴿فَلَمّا أَسلَما وَتَلَّهُ لِلجَبينِ﴾ أي فلما تشهدا وذكرا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت وقيل أسلما يعني استسلما وانقادا، إبراهيم امتثل لأمر الله تعالى وإسماعيل لطاعة الله وأبيه ﴿وَنادَيناهُ أَن يا إِبراهيمُ قَد صَدَّقتَ الرُّؤيا﴾ فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش، وذكر تمام الحديث في المناسك بطوله[39].

وفسر ذلك البغوي بقوله:

﴿فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني المشي معه إلى الجبل. وقال مجاهد عن ابن عباس: لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله. واختلفوا في سنه، قيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة. وقيل: كان ابن سبع سنين. ﴿قالَ يا بُنَيَّ إِنّي أَرى فِي

المَنامِ أَنِّي أَذبَحُكَ﴾ واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق، وروي عن سعيد بن جبير قال: أري إبراهيم ذبح إسحاق في المنام، وقال آخرون: كابن عباس، قال: المفدى إسماعيل. قال له ابنه: ﴿ قالَ يا أَبَتِ افعَل ما تُؤمَرُ﴾ وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية ننطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر، ﴿ قالَ يا أَبَتِ افعَل ما تُؤمَرُ سَتَجِدُني إِن شاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرينَ ۝﴾[40].

﴿فَلَمّا أَسلَما﴾ انقادا وخضعا لأمر الله تعالى، قال قتادة: أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه، ﴿ وَتَلَّهُ لِلجَبينِ﴾ أي: صرعه على الأرض. قال ابن عباس: أضجعه على جبينه على الأرض والجبهة بين الجبينين، قالوا: فقال له ابنه الذي أراد ذبحه: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، واشحذ شفرتك، وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه، ثم أقبل عليه فقبله وقد ربطه وهو يبكي [والابن أيضا يبكي] ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تحك السكين[41].

ونختتم **بتفسير الشعراوي** لقصة الرؤيا: بداية قصة إسحق لما أمر الله نبيه إبراهيم في الرؤيا أن يذبح ولده إسماعيل[42]، فأخبره برؤياه: ﴿فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنّي أَرى فِي المَنامِ أَنّي أَذبَحُكَ فَانظُر ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افعَل ما تُؤمَرُ سَتَجِدُني إِن شاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرينَ﴾[43].

أراد إبراهيم أن يشرك ولده معه في هذا الاختبار، وألا يأخذه على غرة حتى لا تتغير نفسه نحو أبيه فيكرهه وهو لا يعلم ما حدث، وأراد أيضا ألا يحرم ولده من الثواب والأجر على هذه الطاعة وهذا الصبر على البلاء. أما إسماعيل فمن ناحيته لم يعارض، ولم يقل مثلا: يا أبت هذه مجرد رؤيا وليست وحيا، وكيف نبني عليها، بل نراه يقول: ﴿قالَ يا أَبَتِ افعَل ما تُؤمَرُ﴾ ولم يقل: أفعل ما تقول، فما دام الأمر من الله فافعل ما أمرت به ﴿سَتَجِدُني إِن شاءَ اللَّهُ مِنَ الصّابِرينَ﴾ ﴿فَلَمّا أَسلَما﴾ أي:

هما معا إبراهيم وإسماعيل ﴿وَتَلَّهُ لِلجَبينِ﴾ يقال: تله يعني جعل رأسه على التل، وهو المكان المرتفع من الأرض، و ﴿لِلجَبينِ﴾ يعني: جعل جبهته مباشرة للأرض، بحيث يذبحه من قفاه، وهذا هو الذبح العاجل المثمر. ﴿ وَنادَيناهُ أَن يا إِبراهيمُ قَد صَدَّقتَ الرُّؤيا﴾ وما دمت صدقت الرؤيا، فلك جزاء الإحسان؛ لأنك أسرعت بالتنفيذ مع أنها رؤيا، كان يمكنه أن يتراخى في تنفيذها، لكنه بمجرد أن جاء الأمر قام وولده بتنفيذه(44).

ان الحق سبحانه لا يريد من عبده إلا أن يسلم بقضائه، لذلك لا يرفع الله قضاء يقضيه على خلقه إلا إذا رضي به، فلا أحد يجبر الله على شيء، وضربنا لذلك مثلا – ولله المثل الأعلى – بالأب حين يدخل، فيجد ولده على أمر يكرهه، فيزجره أو يضربه ضربة خفيفة، تعبر عن غضبه، فإن خضع الولد لأبيه واستكان عاد الوالد عطوفا حانيا عليه وربما احتضنه وصالحه، أما لو عارض الولد وتبجح في وجه والده فإنه يشتد عليه ويضاعف له العقوبة، وتزداد قسوته عليه.

2. رؤية النبي إبراهيم عليه السلام لغويا وتربويا وعقائدياً

تعد رؤيا إبراهيم عليه السلام لذبح ابنه من أعظم الرؤى الواردة في القرآن الكريم، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾(45).

وقد أجمع أهل العلم على أن رؤيا الأنبياء وحي، كما ذكر الإمام القرطبي: "رؤيا الأنبياء وحي بإجماع الأمة، ولهذا لم يتوقف إبراهيم عليه السلام في تنفيذ ما رآه، ولو لم تكن وحياً لما جاز له أن يقدم على ذبح ابنه"(46).

وقد جاءت العبارة بصيغة المضارع "أرى"، وهو ما يُفيد التكرار، كما بيّن الزمخشري، مشيرًا إلى أن هذه الصيغة توحي بأن إبراهيم كان يرى هذه الرؤيا أكثر من مرة، مما يزيد تأكيد الأمر عنده ويدفعه إلى الامتثال دون تردد(47)، ويُلاحظ أن الابن لم يُعلّق على الرؤيا بل قال: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾، ولم يقل: "ما ترى"، كما أشار الفخر الرازي، وذلك لأن الرؤيا في حق الأنبياء منزّلة منزلة الأمر الإلهي، فرؤية إبراهيم عليه السلام تُعد أمراً من الله ينبغي تنفيذه وقوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾(48)، فيشير إلى أن الله تعالى لم يطلب من إبراهيم الفعل النهائي، بل أراد منه العزم والامتثال، كما قال ابن عاشور: "العبرة في الرؤيا كانت بالتصديق بها والعمل بمقتضاها، لا بالفعل نفسه، فحين أضجع ولده للذبح تحقق المراد الرباني"(49).

وقد تطرق الإمام الشعراوي إلى الجانب الإيماني والتربوي في هذه الرؤيا، موضحًا أن الامتحان الحقيقي كان في الطاعة الكاملة والتسليم لأمر الله تعالى، لا في الذبح بحد ذاته، فقال: "الابتلاء كان في التصديق والنية الخالصة، ولهذا أثنى الله عليه بأنه صدّق الرؤيا ولم يحتج إلى تنفيذ الذبح فعليًا"

وهكذا يتبين أن هذه الرؤيا تحمل دلالات تربوية، وشرعية، وعقائدية بالغة العمق، وتُظهر مقام النبوة في أرفع صور الامتثال والطاعة، كما تُرسّخ في ذهن المتلقي قيمة الإيمان المطلق بأوامر الله ولو كانت فوق حدود العقل والتصور البشري

المطلب الثالث: رؤية يوسف (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿إِذ قالَ يوسُفُ لِأَبيهِ يا أَبَتِ إِنّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لي ساجِدينَ ۝ قالَ يا بُنَيَّ لا تَقصُص رُؤياكَ عَلى إِخوَتِكَ فَيَكيدوا لَكَ كَيدًا إِنَّ الشَّيطانَ لِلإِنسانِ عَدُوٌّ مُبينٌ﴾[50].

منذ اللحظة الأولى التي تُفتَح فيها سورة يوسف، نجد أنفسنا أمام مشهد مؤثّر يحمل بين طيّاته وعدًا إلهيًا خفيًّا لطفلٍ صغير لم يتجاوز الحلم، لكنه رأى منامًا غريبًا ومهيبًا، فهرع به إلى والده النبي يعقوب عليه السلام، وقال له في ثقة الطفل البريء: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[51].

كانت هذه الرؤيا أول خيطٍ من الخيوط التي نسجت قصة يوسف عليه السلام، ذلك النبي الكريم الذي اجتمع له الجمال الظاهري، والكمال الخُلقي، والنبوءة، والعلم، والحكمة. رؤيا طفل لكنها تحمل نبوءة مستقبل، بل مفتاح قصة متكاملة.

ولم يكن الأب يعقوب عليه السلام نبيًا فحسب، بل كان مربيًا حكيمًا، أدرك أن تلك الرؤيا ليست حلمًا عاديًا، بل هي رسالة من السماء تخبر بمستقبل يوسف، وبما سيكون له من شأنٍ عظيم. ولهذا لم يُفصح لابنه عن تفسيرها مباشرة، بل قال له بحزم الأب وحنان النبوة: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[52].

علم يعقوب عليه السلام أن الرؤيا تشير إلى تفضيل يوسف عليه، وهذا ما قد يُشعل نار الغيرة في قلوب إخوته، ولذلك اختار الصمت والكتمان، وهو ما فسّره الإمام البغوي بأن يعقوب رأى فيها رفعة ليوسف، وخاف عليه من حسد إخوته إن علموا بتأويلها[53].

لم تُفسّر الرؤيا حين رآها يوسف، بل ظلّت في طيّ الكتمان، كسرّ دفين، لا يعرفه إلا الله وأبوه النبي. لكنها لم تذهب سدى، بل ظلت ترسم الطريق أمام يوسف، وتقويه في وجه المحن التي ستنهال عليه لاحقًا. فقد أُلقي في الجب، وبيع عبدًا، واتُّهم ظلمًا، وسُجن، لكنه ظل ثابتًا، يحمل في قلبه وعدًا صامتًا من الله، رأى بشائره يوم رأى الشمس والقمر والكواكب له ساجدين.

وعندما شاء الله أن يرفع شأنه، ويُخرجه من السجن إلى الوزارة، كان أول ما لُفِت إليه فيه: علمه بتعبير الرؤى، تلك الموهبة التي غرسها الله فيه منذ طفولته. فجاءه سجينان يطلبان منه تأويل رؤياهما، فأجابهما بكل ثقة: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾[54]، وهنا يتجلى أن الرؤيا لم تكن فقط حلمًا، بل كانت فاتحة لعلمٍ عظيم جعله الله سببًا لنجاة الناس وتمكين يوسف.وحين التقى بأبويه وإخوته بعد سنوات الغربة، بعد الفراق والظلم والحنين، تحقق ما رآه في طفولته، فإذا بهم جميعًا يسجدون له سجود تحية وتكريم، فيقف يوسف عليه السلام، والحنين يملأ قلبه، ليقول: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[55]، يعلّق ابن كثير على هذا الموقف فيقول: "تحققت الرؤيا كما أوحى الله، وسجد له أبواه وإخوته، فكان ذلك تعظيمًا وتكريمًا، لا عبادة" وبهذا تُغلق قصة يوسف بإتمام وعد السماء، حيث صدقت الرؤيا، وثبت العبد، وتحقق وعد الله لعبده الصابر الصادق[56].

ويقول الإمام الشعراوي في خواطره: "الرؤيا كانت ضوءًا يسبق النفق، لتكون عونًا له على صبر الطريق، فحينما يعرف الإنسان أنه مأمور من الله، يتحمّل ويصبر" [57]

إن رؤية يوسف كانت نموذجًا للرؤى الصادقة التي تبدأ رمزية، ثم تتجلى بعد حين، وتكون مفتاحًا للتمكين، وعلامة من علامات النبوة، وتجسيدًا لمعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة)[58]

المبحث الثالث: الرؤيا في القران الكريم بين الالهام والتكليف

المطلب الأول: الرؤيا وسيلة للوحي عند الأنبياء

لقد اعتنى القرآن الكريم بتصوير الرؤيا كإحدى الوسائل التي يتلقّى بها الأنبياء الوحي من الله تعالى، وهي في هذا السياق ليست من باب الرؤى العامة التي يراها البشر في منامهم، بل هي وحيٌ ملزمٌ يُبنى عليه التكليف، ويترتب عليه العمل. وقد أجمعت الأمة – كما نقل غير واحد من العلماء – على أن رؤيا الأنبياء وحيٌ، ومن ثم فهي صادقة في مضمونها، ملزمة في توجيهها، محققة في وقوعها.

فالنفس ذات روحانية، مدركة من غير آلات بدنية، وأدوات حسية، وتكون عندئذ أقل في الدرجة من نفوس الملائكة، أهل الأفق العالي، الذين لم يستكملوا ذواتهم بشيء من مدارك البدن أو غيره[59].

وهذا الاستعداد السالف يقوم في النفس ما دامت في البدن، وهو على صنفين:

أ- صنف خاص يتهيأ للأولياء.

ب- وآخر عام في البشر جميعا، وهو الرؤيا الصادقة.

أما الاستعداد الذي يتهيأ للأنبياء، فإنه يكون بانسلاخ النفس من البشرية إلى الملكية المحضة، وهي أعلى الروحانيات. فالرؤيا على هذا طور ضعيف من أطوار النبوة، وبينها وبين النبوة مرتبة واضحة المعالم، يقوم فيها إلهام الأولياء الذي يعتبر ضعيفا بالإضافة إلى الوحي النبوي قويا بالقياس إلى وحي الرؤيا[60]..

كما ان الإمام البخاري فتح في صحيحه بابًا بعنوان "كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ"، حيث ذكر أن أول ما نزل على النبي ﷺ من الوحي هو الرؤيا الصالحة في المنام، كما رواه عن عائشة رضي الله عنها: " كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"[61]

وأكد ابن حجر أن هذه الرؤى كانت تمهيدًا لوحي اليقظة، فالأنبياء أول ما يوحى إليهم يكون في المنام ليهدأوا قلوبهم، ثم يبدأ الوحي في اليقظة، وهو ما أشار إليه أيضًا محمد بن إسحاق بن يسار في قول النبي ﷺ: " فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ[62]." كما قال السيوطي في "الاتقان:" " إن الوحي نزل كله يقظة، والرؤيا الصالحة كانت تمهيدًا وتيسيرًا للنبي ﷺ. " وقد بيّن النبي ﷺ في حديث الحارث بن هشام أن الوحي كان يأتيه أحيانًا كصلصلة جرس

وأحيانًا يتمثل له الملك رجلاً يتكلم معه، ولم يذكر في هذا الحديث أن القرآن نزل عن طريق الرؤيا، مما يدل على أن القرآن نزل في اليقظة. وهكذا، يتضح أن الرؤيا الصالحة كانت أولى مراحل الوحي النبوي وأهم أدواته في التهيئة النفسية والروحية، وتختلف عن غيرها من الرؤى العادية، فهي جزء من الوحي الملزم(63).

وفي رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه الت وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَرى فِي المَنامِ أَنِّي أَذبَحُكَ فَانظُر ماذا تَرى﴾(64).

وهذه الرؤيا كانت وحيًا صادقًا من الله تعالى، إذ أجمع أهل التفسير على أن رؤى الأنبياء حق، ويجب عليهم تنفيذها، ولذلك شرع إبراهيم عليه السلام في تنفيذ الذبح دون تردد، كما قال: ﴿فَلَمّا أَسلَما وَتَلَّهُ لِلجَبينِ ۝ وَنادَيناهُ أَن يا إِبراهيمُ ۝ قَد صَدَّقتَ الرُّؤيا﴾(65).

قال ابن كثير: "وهذا اختبار عظيم لصدق الإيمان، وكان الذبح مجرد ابتلاء، والمراد تحقق الطاعة(66).

وفي رؤيا النبي ﷺ في فتح مكة، جاءت في قوله تعالى: ﴿لَقَد صَدَقَ اللَّهُ رَسولَهُ الرُّؤيا بِالحَقِّ لَتَدخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرامَ إِن شاءَ اللَّهُ آمِنينَ﴾(67).

رأى النبي ﷺ في المنام أنه يدخل مكة مع أصحابه معتمرين، فكانت الرؤيا سببًا في عقد صلح الحديبية، وفتح مكة لاحقًا. قال البغوي: "وفي هذا دليل على أن رؤيا النبي ﷺ وحي لا يُكذّب، ولو تأخّر تحققها زمانًا(68).

وقال الشعراوي: "تحققت الرؤيا بعد عامين؛ لأنها كانت وعدًا إلهيًا لا يحدّه زمن." خلال تحليل هذه الرؤى أن الرؤيا كانت وسيلة للوحي عند الأنبياء، تحمل تكليفًا وتشريعًا، وليست مجرد إشارات أو رموز. فهي جزء من أدوات الاتصال الإلهي التي تهيئ النبي وتوجهه، وتكشف لنا عظمة اليقين والإيمان في قلوب الأنبياء، إذ استجابوا لها كما لو كانت خطابًا مباشرًا من الله عز وجل(69).

المطلب الثاني: الرؤيا في القرآن أداة للتمكين والتبشير

في كثير من مواضـــع القرآن الكريم، تظهر الرؤيا كنافذة ربانية تطل على المســـتقبل، حاملة بشـــائر التمكين أو إشـــارات النصـــر أو دلائل الاصـــطفاء، وقد ارتبطت هذه الرؤى بالأنبياء وأهل الاصطفاء، فكانت لهم تمهيدًا للطريق، وتثبيتًا للقلوب، وطمأنينة في لحظات الشدة.

أول ما يلفت الانتباه في هذا السياق رؤيا يوسف عليه السلام، التي قصّها على أبيه قائلاً: ﴿إِذ قالَ يوسُفُ لِأَبيهِ يا أَبَتِ إِنّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لي ساجِدينَ﴾[70]. فتنبأ له والده يعقوب عليه الســـلام بمســـتقبل عظيم ومكانة رفيعة، وقال له: ﴿وَكَذٰلِكَ يَجتَبيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأويلِ الأَحاديثِ وَيُتِمُّ نِعمَتَهُ عَلَيكَ﴾ [71].وبعد سنين طويلة من الابتلاءات والسجن والغربة، تحققت هذه الرؤيا بتمكين يوسف وتمليكِه خزائن الأرض، ثم جمع الله شـــمله بأبويه وإخوته، ليســـجدوا له تأويلاً للرؤيا الأولى، ويقول: ﴿وَقالَ يا أَبَتِ هٰذا تَأويلُ رُؤيايَ مِن قَبلُ قَد جَعَلَها رَبّي حَقًّا﴾[72].

وفي مشهد آخر، يظهر إبراهيم عليه السلام وهو يرى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل، فيخبره بذلك دون تردد: ﴿ قالَ يا بُنَيَّ إِنّي أَرى فِي المَنامِ أَنّي أَذبَحُكَ فَانظُر ماذا تَرى﴾[73]، فكان رد الابن خضوعًا لأمر الله: ﴿قالَ يا أَبَتِ افعَل ما تُؤمَرُ﴾، لقد كانت هذه الرؤيا أمرًا إلهيًا، نفذه إبراهيم طاعة لله، فجاء الفداء من عند الله، وكانت النتيجة تكريمًا لإبراهيم وإســـماعيل، وتمكينًا لهما في الذرية المباركة التي خرج منها خاتم الأنبياء ﷺ. أما رؤيا النبي محمد ﷺ فقد تجلت في قوله تعالى: ﴿لَقَد صَدَقَ اللَّهُ رَسولَهُ الرُّؤيا بِالحَقِّ لَتَدخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرامَ إِن شاءَ اللَّهُ آمِنينَ﴾[74]، وقد رأى النبي ﷺ أنه دخل مكة مع أصـــحابه محلقين رؤوسهم، فكانت الرؤيا بشارة صادقة من الله، تحققت بعد عام، حين فُتحَت مكة ودخلها المسلمون آمنين، فعلم الصحابة أن الرؤيا كانت وعدًا من الله بالنصر والتمكين[75].

من خلال هذه النماذج القرآنية، يتضح أن الرؤيا في القرآن ليست مجرد أحداث رمزية، بل هي وسيلة من وسائل الوحي والتمهيد الإلهي للتمكين والتبشير. فهي تبعث الأمل في النفوس، وتثبّت

اليقين في قلب المؤمن، وتدل على أن الله يُرشـــد أولياءه حتى في منامهم، ويُبشّـــرهم بما هو آتٍ من نصر وتمكين.

الخاتمة

وبعد هذه الجولة التفسيرية في موضوع الرؤيا في القرآن الكريم، تبيّن لنا أن الرؤيا ليست ظاهرة عابرة أو مجرد صورة من صور النوم، بل إنها وسيلة ربانية للتوجيه، والتبشير، والتمكين، وقد ارتبطت في القرآن بالأنبياء والصـــالحين ارتباطًا وثيقًا، فجاءت تحمل دلالات عظيمة، منها ما تحقق في حياة أصحابها، ومنها ما كان تمهيدًا لأمر إلهي قادم.

لقد وقفنا من خلال هذا البحث على عدة نماذج قرآنية تبرز قيمة الرؤيا، مثل رؤيا يوسف عليه السلام التي كانت مفتاح تمكينه، ورؤيا إبراهيم عليه السلام التي كانت ميدانًا للطاعة والتسليم، ورؤيا النبي محمد ﷺ التي بشّرت بالفتح والنصر.

كما تبيّن أن الرؤيا الصالحة قد تكون أول مراتب الوحي، كما حصل مع رسول الله ﷺ في بداية نبوته، مما يدل على عمق هذه الوسيلة ومكانتها في الخطاب القرآني.

وتظهر الرؤيا في القرآن كأداة تربوية وعقائدية، تُســهم في غرس الإيمان بالغيب، وتعميق الثقة في وعد الله، وإعداد النفس لمراحل التمكين أو الابتلاء.

التوصيات:

1. الاهتمام بدراسة الرؤيا في القرآن الكريم من منظور تفسيري موضوعي، وربطها بسياقها العام في حياة الأنبياء.
2. التمييز بين الرؤيا المنامية والوحي، وذلك لفهم خصـــائص كل منهما وأثره في التشـــريع أو التوجيه.
3. ربط الرؤيا بالســـنن الإلهية في التمكين والابتلاء، لتأكيد أن ما يراه المؤمن في منامه قد يكون إشارة أو تمهيدًا لقضاء الله وقدره.

4. تشـجيع الباحثين على دراسـة الرؤى القرآنية في ضـوء علوم النفس والاجتماع، لفهم أثرها في تشكيل شخصية النبي والمؤمنين.
5. إفراد دراسـات مستقلة حول تأويل الرؤيا في القرآن، وخاصـة في سـورة يوسـف، لما تحمله من عمق تربوي وعقائدي

الهوامش

(1) الصافات: 102.
(2) يوسف: 4.
(3) ابن منظور، 1991: 297.
(4) المرعشلي، 2002: 188.
(5) الفراهيدي، 1988: 307/8.
(6) يوسف: 5.
(7) الأزهري، 2001: 228/15.
(8) ابن فارس، 1979: 472/2.
(9) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا»، رقم (1909)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم (1081).
(10) الجرجاني، 1983: 109.
(11) الرازي، 1990: 327/11.
(12) الطهطاوي، 2000: 7.
(13) ابن القيم، 1996: 160/1.
(14) أبو حبيب، 1988: 140/1.
(15) الطهطاوي، 2000: 7.
(16) مالك، 1994: 957/2.
(17) النساء: 82.
(18) ابن ابي جمرة 253/4.
(19) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التعبير، باب أقسام الرؤيا، رقم (3907)؛ وأحمد في المسند، رقم (22808)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، رقم (3154)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(20) خرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين، رقم (6989)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ ورؤيا الصالحين، رقم (2263).

(21) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة جزء من النبوة، رقم (2261)؛ وأحمد في المسند، رقم (12765)، وقال النووي في شرح صحيح مسلم (16/15): حديث صحيح بإجماع العلماء.

(22) الفتح: 27.

(23) سبق تخريجه.

(24) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله (حديث رقم: 6983) وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة جزء من النبوة (حديث رقم: 2263)، باختلاف يسير في اللفظ.

(25) يونس: 64.

(26) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (3)؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (231).

(27) انظر: البخاري (24/94) النووي (2/197).

(28) الفتح: 27.

(29) ينظر: الطبري، 2000: 22/259.

(30) الأنفال: 43.

(31) ينظر: الدمشقي، 1999: 4/69.

(32) الماتريدي، 2005: 76.

(33) الإسراء: 60.

(34) ابن كثير، 1999: 82/5.

(35) الطبري، 2000: 16/15.

(36) القرطبي، 1964: 251/10.

(37) الصافات: 102-107.

(38) مريم: 54-55.

(39) ابن كثير، 1999: 24/7.

(40) البغوي، 1997: 46.

(41) البغوي، 1997: 47.

(42) الشعراوي، 1997: 9589.

(43) الصافات: 102

(44) الشعراوي، 1997: 9590.

(45) الصافات: 102.

(46) القرطبي، 1964: 106/15.

(47) الزمخشري، 1987: 143/4.

(48) الصافات: 105.
(49) ابن عاشور، 1997: 126/23.
(50) يوسف: 4-5.
(51) يوسف: 4.
(52) يوسف: 5.
(53) البغوي، 1997: 178/3.
(54) يوسف: 37.
(55) يوسف: 100.
(56) ابن كثير، 1999: 348/4.
(57) الشعراوي، 1997: 25/12.
(58) البخاري، حديث 6989.
(59) جمعة، 2001: 1.
(60) جمعة، 2001: 1.
(61) البخاري، كتاب بدء الوحي.
(62) ابن حجر، 1414، 45/1.
(63) السيوطي، 1505، 392/1.
(64) الصافات: 102.
(65) الصافات: 103-105.
(66) ابن كثير، 1999: 842/2.
(67) الفتح: 27.
(68) البغوي، 1997: 27/1.
(69) الشعراوي، 199، 2/ 45-47.
(70) يوسف: 4.
(71) الطبري، 2000: 3/ 239-230.
(72) ابن كثير، 1998: 2/ 358.
(73) الصافات: 102.
(74) الفتح: 27.
(75) الطبري، 200: 7/ 232.

المصادر

- **القرآن الكريم.**

1- أعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن القيم، محمد بن أبي بكر (توفي 751هـ / 1350م). بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1991.

2- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) – الماتريدي، محمد بن محمود (توفي 333هـ / 944م). تحقيق: مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005.

3- التحرير والتنوير – ابن عاشور، محمد الطاهر (توفي 1393هـ / 1973م). تونس: دار سحنون للنشر، ط1، 1997م.

4- التعريفات – الجرجاني، علي بن محمد (توفي 471هـ / 1078م). بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1983.

5- تفسير الأحلام من كلام الأئمة الأعلام ويليه تفسير أحلام المرأة – علي أحمد عبد العال الطهطاوي (توفي 1322هـ / 1904م). بيروت: ط2، 2005.

6- تفسير القرآن العظيم – ابن كثير، إسماعيل بن عمر (توفي 774هـ / 1373م). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.

7- تهذيب اللغة – الأزهري، محمد بن أحمد (توفي 370هـ / 981م). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001.

8- جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري، محمد بن جرير (توفي 310هـ / 923م). تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.

9- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (توفي 671هـ / 1272م). القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964م.

10- خواطر الشعراوي – محمد متولي الشعراوي (توفي 1422هـ / 2001م). القاهرة: أخبار اليوم، ط2، 2006

11- الرؤيا وعلاقتها بالوحي والأحكام الشرعية – جمعة، علي القاهرة: دار السلام، 2014.

12- سنن ابن ماجه – ابن ماجه، محمد بن يزيد (توفي 273هـ / 887م). بيروت: دار الفكر، دون سنة نشر. ط3، 1969

13- شرح الكرماني على صحيح البخاري – الكرماني، علي بن محمد (توفي 581هـ / 1185م). بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1981.
14- شرح النووي على مسلم – النووي، يحيى بن شرف (توفي 676هـ / 1277م). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1972.
15- الصَّحاح في اللغة – الجوهري، إسماعيل بن حماد (توفي 393هـ / 1003م). بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1987.
16- صحيح البخاري – البخاري، محمد بن إسماعيل (توفي 256هـ / 870م). بيروت: دار ابن كثير، ط1، 2001.
17- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج (توفي 261هـ / 875م). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1955.
18- العين – الفراهيدي، الخليل بن أحمد (توفي 175هـ / 791م). بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1988.
19- فتح الباري شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني (توفي 852هـ / 1449م). بيروت: دار المعرفة، ط2، 1970.
20- القاموس الفقهي – أبو حبيب، حسن الشاذلي (تاريخ الوفاة غير متوفر). دمشق: دار الفكر، ط2، 1408هـ.
21- القاموس المحيط – الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (توفي 817هـ / 1414م). بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2005.
22- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الزمخشري، محمود بن عمر (توفي 538هـ / 1144م). بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1987م.
23- لسان العرب – ابن منظور، محمد بن مكرم (توفي 711هـ / 1311م). بيروت: دار صادر، ط1، 1991.
24- مسند الإمام أحمد – أحمد بن حنبل (توفي 241هـ / 855م). بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1969.
25- معالم التنزيل – البغوي، الحسين بن مسعود (توفي 516هـ / 1122م). بيروت: دار المعرفة، ط1، 1997.

26- المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين. القاهرة: دار الدعوة، ط2، 1972.
27- معجم مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني (توفي 502هـ / 1108م). تحقيق: نديم المرعشلي. بيروت: دار الفكر، ط1، 1991.
28- معجم مقاييس اللغة – ابن فارس، أحمد بن فارس (توفي 395هـ / 1005م). بيروت: دار الفكر، ط1 1979.
29- مفاتيح الغيب – الرازي، فخر الدين (توفي 606هـ / 1210م). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1990.
30- الموطأ – مالك بن أنس (توفي 179هـ / 795م). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1994.